



التسامح في الإسلام عبر المعاملات الدولية بين إندونيسيا و اليمن

Afrah Mas'ood¹, Hayyun Ulfah Muthmainnah²

¹ Iman University Yaman; Manouba University, Tunis.

² Tunis University

Email: fr1986ah@gmail.com

مستلخص البحث : يلعب خلق التسامح دورا هاما في تأسيس بيئة مثالية للتعايش السلمي، والتعارف بين مختلف الأعراق والأجناس والأديان، وبناء دولة تثبت أركانها على أساس العدل والمساواة في الحقوق والواجبات، وخلق التسامح اتصف به أهل اليمن، وجعلهم مؤهلين لنشر الإسلام في الأماكن التي سافروا إليها تجارا بأخلاقهم وتعاملاتهم، فصوروا الإسلام بأبهى حلة من خلال انعكاس قيمه وتسامحه في حياتهم اليومية، ما جعل من يتعامل معهم من الإندونيسيين يتساءلون عن مصدر هذا الرقي فيقتنعون بالإسلام ديننا ويعتقدوه.

الكلمات المفتاحية: التسامح، الإسلام، اليمنيون، اندونيسيا، المعاملات، الدولة، التجار.

Abstract

This article aims to Tolerance plays an important role in the formation of an ideal and harmonious society in life with mutual respect between different tribes, ethnicities and religions. The formation of a state is also based on the principles of justice and egalitarianism in every right and obligation in society. Tolerance is a characteristic of the people of Yemen in spreading Islam in the areas they visit to trade, which emanates from their attitudes and interactions. They reflect the face of Islam which shines with values and tolerance in everyday life. Thus, the Indonesian people who interacted with them were amazed and wondered about the principle of this tolerance before finally embracing Islam.

Keyword: Tolerance, Islam, Yaman, Indonesia, Aceh, interactions, countries, trade.



الحمد لله الذي جعل الإسلام دينه الخالد، به أرسل الله رسله وبعث أنبيائه، دين الأخلاق الحميدة، والقيم النبيلة، دين عالمي لا يحده قطر، ولا تحاصره حدود والصلاة والسلام على من وصفه ربه: "وإنك لعلى خلق عظيم"¹ والقائل عن نفسه: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وبعد:

منزلة الأخلاق في الإسلام

إن الأخلاق لها منزلة عظيمة في شريعتنا المحمدية، فالدين المعاملة، وقد يخسر الإنسان كل أعماله لسوء خلقه، وذلك واضح في حديث المفلس عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أتدرون ما المفلس؟" قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال "إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته، قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار"² في الحديث بيان لعظيم أثر الأخلاق فالربح والخسارة ميزانها الأخلاق لا الأموال، فالمسلم بأخلاقه العظيمة، في بيته، وجامعته، ومتجره، ومسجده، فلا مكان للأخلاق ولا زمان محدود، فهي قيم راسخة يحملها المؤمن معه في كل زمان ومكان. صحيح مسلم

خلق التسامح

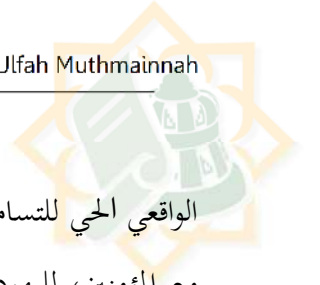
أهم خلق جاء به الإسلام هو خلق التسامح ونعني به التساهل، لأن التساهل والتسامح بمعنى فـ «التساهل»: التسامح³ وما يهمنا في هذا الموضوع هو تسامح الإسلام مع أصحاب الشرائع الأخرى من يهود ونصارى وغيرهم "إن الإسلام دين السماحة والعفو في الحياة الدنيا، أما الآخرة فيؤاخذ كل امرئ بما كسب، وما ريك بظلام للعبيد"⁴، وتاريخنا مليء بالشواهد الدالة على ذلك، ولعل ميثاق المدينة الذي كان أول دستور في تاريخ الإسلام يمثل الدليل

¹ سورة القلم: 3

² «صحيح مسلم» (4/ 1997 ت عبد الباقي)

³ الصحاح تاج اللغة، الفارابي (393هـ)، (5، 1733)

⁴ سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله، المطعني، (ص86)



الواقعي الحي للتسامح الديني فقد حفظ للمسلم حقوقه كما حفظها لليهودي، نجد ذلك في "وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم"⁵ نلاحظ أن الرسول جمع اليهود مع المؤمنين في حقوقهم العامة من المواطنة والتعايش، ثم فرقهم دينيا وجعل لكل منهم حرية دينية وهذا قمة التسامح.

أهمية التسامح

إن أعقد المشاكل، وأسوأها أثرا، وأسرعها اشتعالا، وأبطؤها خمودا هي الفتن الدينية⁶ لذلك كان الإسلام دور في حل هذه المشكلة عبر خلق التسامح ويتمثل ذلك في منهج القرآن الذي ينهى عن الجدال الديني فلا يحق لأحد أن ينصب نفسه قاضيا للفصل بين الطوائف الدينية، بل على الجميع أن يتسامى بخلق التسامح ليعيش الجميع في ظلال السلام والأمان ينعم كل بحريته الدينية، وعلى الله فصل الحساب قال الله: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد"⁷

خلقنا الله لنعمر الأرض، وننظم شؤون الحياة، وهذا يكون مع المسلم وغير المسلم عبر دستور ينظم كل الأمور، ويبقى تجنب الاحتكاك، وإثارة المشاكل، وإشعال الفتن أمر مرفوض⁸ فالله وحده خلق الخلق وجعلهم مختلفين ولو شاء لجعلهم أمة واحدة "...لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم"⁹ شرائع الله مختلفة فلكل نبي شريعة وإن كان الإسلام دين الجميع من لدن نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم¹⁰

التسامح في المعاملات

⁵ الصحيفة ميثاق الرسول، برهان زريق ص45. (زريق، الصحيفة ميثاق الرسول، دستور المدينة المنورة أول دستور لحقوق الإنسان، الطبعة الثالثة، 2015)

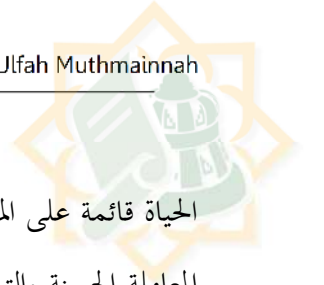
⁶ سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله، المطعني، (ص86)

⁷ سورة الحج: 17

⁸ ينظر: سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله، المطعني (ص86):

⁹ سورة المائدة: 48

¹⁰ والآيات كثيرة ففي حق إبراهيم وإسماعيل "ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك" البقرة: 128، يعقوب "ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" البقرة: 132، عيسى "فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ءامنا بالله وأشهد بأنا مسلمون" ال عمران: 52، موسى "وقال موسى يا قوم إن كنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين" يونس: 84، يوسف "رب قد ءاتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين" يوسف: 101.



الحياة قائمة على المعاملات في معظم أوقاتها لذلك تبرز أهمية التسامح في المعاملات عامة وفي التجارة خاصة، بل إن المعاملة الحسنة والتسامح يدفع الناس برفق للتعرف على دينك، إذ أن انعكاس خلقك وقيمك على معاملاتك تدل دلالة واضحة على سمو قيمك الدينية التي تؤمن بها وهذا السلوك هو الذي دفع الناس للدخول في دين الله أفواجا منذ فجر الإسلام وقد أثبت الله حقيقة الترابط بين خلق التسامح ودوره في اعتناق الإسلام بقوله: "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك"¹¹ يقول الطاهر بن عاشور: "أرسل محمد صلى الله عليه وسلم مفطورا على الرحمة، فكان لينه رحمة من الله بالأمة في تنفيذ شريعته بدون تساهل ورفق وإعانة على تحصيلها، فلذلك جعل لينه مصاحبا لرحمة من الله أودعها الله فيه، إذ هو قد بعث للناس كافة، ولكن اختار الله أن تكون دعوته بين العرب أول شيء لحكمة أرادها الله تعالى في أن يكون العرب هم مبلغى الشريعة للعالم. والعرب أمة عرفت بالأنفة، وإباء الضيم، وسلامة الفطرة. وسرعة الفهم. وهم المثلقون الأولون للدين فلم تكن تليق بهم الشدة والغلظة، ولكنهم محتاجون إلى استئزال طائرهم في تبليغ الشريعة لهم، ليتجنبوا بذلك المكابرة التي هي الحائل الوحيد بينهم وبين الإذعان إلى الحق"¹²

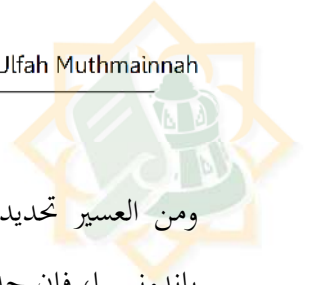
ومن هؤلاء العرب الذين عرفوا بلين الطبع ومكارم الأخلاق اليمينيون فقد قال فيهم رسولنا الكريم: (الإيمان ها هنا - وأشار بيده إلى اليمن - والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين - عند أصول أذنان الإبل، من حيث يطلع قرنا الشيطان - ربيعة ومضر)¹³ أثبت لهم النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بصريح العبارة، وأثبت لهم التسامح واللين بمفهوم المخالفة. وفي حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ. هُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةً. الْإِيمَانُ يَمَانٌ. وَالْفَقْهُ يَمَانٌ. وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ"¹⁴ لذلك استطاعوا بأخلاقهم نشر الإسلام في شتى البقاع ومنها شرق آسيا، وتحديدًا اندونيسيا التي تقع في جنوب شرق آسيا، وتعتبر من كبرى البلدان الإسلامية التي اشتهرت بثروات أرضها الخصبة الفائضة، وطبيعتها الجميلة الخلابة، وكانت مركزا للتجارة في الشرق الأقصى ومنها في سومطرة.

¹¹ سورة ال عمران: 159

¹² التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (4، 145).

¹³ «صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، (4، 1594).

¹⁴ «صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (1، 71).



ومن العسير تحديد تاريخ بدء دخول الإسلام إندونيسيا إذ تتضارب الآراء بشأن البداية الزمنية لاتصال العرب بإندونيسيا، فإن حدود القرن السابع الميلادي تقريبا الوقت المناسب لهذه العلاقات.¹⁵

وزاد عادل محيي الدين عن دخول الإسلام وقال، "...ومنذ هذا الوقت تتعاقب هجرات العرب الحضارمة إلى كوجرات "Gujarat" التي يسميها العرب "قزرات" في سواحل الهند، ثم اندفع بعضهم إلى إندونيسيا واستقروا في شواطئ سومطرة."¹⁶ نرى أن الإسلام انتشر في إندونيسيا بسلام وبدون أي حرب، فلولا سماحة الدعوة المسلمين لم يفز الإسلام في جنوب شرق آسيا.

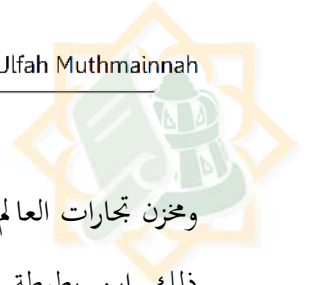
دور تجار اليمن في نشر الإسلام بإندونيسيا

السؤال الذي يطرح نفسه كيف أثر خلق التسامح لدى التجار الحضارم (اليمنيين) في نشر الإسلام في إندونيسيا؟ وبالإجابة عليه يكشف لنا مسيرة العرب في الدعوة إلى الإسلام، وتبرز مظاهر التسامح التي اتسم بها الحضارم عند استقرارهم في إندونيسيا. بدأت الهجرات الحضرمية التجارية والدعوية في القرن السابع الميلادي متجهة إلى شرق آسيا، ومنهم من ذهبوا إلى جزر الملايو ونزلوا في سومطرة أو في آتشيه تحديدا. وهؤلاء التجار يتميزون بأمانتهم وعدلهم في التجارة وبحسن لبسهم، ومشاهدة أهل البلاد للحضارم وهم يصلون لرهبهم، آثار تساءلهم ماذا تفعلون؟ وهذه التساؤلات مثلت البداية للتعرف على الإسلام فسمعوا عن الإسلام ورأوه خُلقا حيا في تعاملات التجار اليمنيين (الحضارم) فاعتنقوه دينا لهم بلا إكراه، فخلق التسامح غلب على التجار في سائر حياتهم، وبه صاروا يدعون إلى الإسلام من حولهم.

وصل العرب إلى إندونيسيا، خاصة في المنطقة التي تسمى حاليا آتشيه. بدأنا نطلع على بعض الشواهد العلمية؛ ومنها Chau Ju – Kua وهو خبير متمرس بشؤون التجارة الخارجية في ميناء كانتون إبان القرن العاشر الميلادي، من خلال عمله دَوْن كتابا بالصينية اسم جوفان جي (Zhufan Zhi / Chu fan chi) أي "تذكره عن الأمم الأجنبية – أن الطريق البحري إلى الصين لا بد أن يمر عبر بِالْمَبَانِعِ في سومطرة الشرقية، وهو لذلك يصف سومطرة بممر الأمم

¹⁵ M. C. Ricklefs (perj: dharmono hardjowidjono), sejarah Indonesia modern – history of modern indonesia, Gadjah mada university press, yogyakarta, cet. 8, 2005, hal 3-4.

¹⁶ عادل محيي الدين الألويسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 45 (الألويسي)



ومخزن تجارات العالم، وبعكس ذلك يلاقي التجار مصاعب قد تودي بحياتهم أو غرق سفنهم وضباع تجارتهم". ويؤكد ذلك ابن بطوطة بقوله "بعدها غادرت ميناء الزيتون جنوب الصين وبعد شهرين وصلنا إلى الجاوة ونزلنا في سومطرة...".¹⁷

كما أكد بعض المؤلفات العربية مثل ابن خزّاذبّة في "المسالك والممالك" في أواخر القرن التاسع الميلادي، والمسعودي في "مروج الذهب ومعادن الجوهر" في أواخر القرن العاشر الميلادي، ورحلة سليمان التاجر إلى الصين والهند سنة 851 م.¹⁸

وتذكر هذه المصادر وجود امتزاج الشعوب بين هذه الأطراف عن طريق المحجرات المتتالية. وقيل إن سواحل الهند وجزيرة سرنديب وإندونيسيا قد اتصلت ببلاد العرب منذ القرن الرابع الميلادي بفضل موانئها التي كانت تشكل مراكز للتجارة العربية¹⁹، أشارت بعض المخطوطات التي هي عبارة عن تقارير صينية إلى أن العرب قد وصلوا إلى شواطئ سومطرة قبل ظهور الإسلام، كما أن التنقيبات الأثرية التي قامت بها وزارة الثقافة الإندونيسية، كشفت عن ثلاثة الآلف نقيش سنة هجرية ومعديني مكتوبة بالعربية، بعضها منقوش عليها بالخط المسند الحميري، والبعض الآخر عبارة عن شواهد قبور مكتوب عليها أبيات من الشعر العربي معلمة بالتاريخ الهجري.²⁰

فطبيعة السفر البعيدة استلزمت وجود أماكن استقرار، ولأن السفن تبحر في مواسم معينة تبعاً لحركة الرياح.²¹ فاختلف التجار من خلالها بالسكان المحليين اختلاطاً وقتياً عن طريق البيع والشراء أو اختلاطاً دائماً، أي الاستيطان عن طريق الزواج والمصاهرة والتوالد.

وتشكل الدراسات الجادة التي قام بها نفر من المؤرخين الإندونيسيين أمثال نجيب العطاس، وقدر الله الفاطمي، ومحمد حسين نانبا مؤخرًا أهمية خاصة، فقد أثبتوا هذه الدراسات وجود التجار العرب في شواطئ سومطرة الشمالية

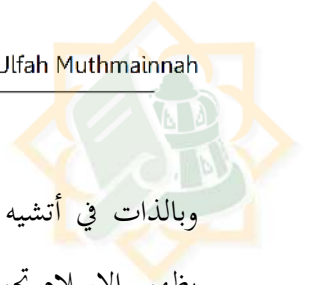
¹⁷ عادل محيي الدين الألوسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 45

¹⁸ عادل محيي الدين الألوسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 46

¹⁹ Samodra wibawa, negara-negara di nusantara, Gadjah mada university press, Yogyakarta, 2001, cet. 1,, hal 17, lihat juga M. C. Ricklefs (Perj: Dharmono Hardjowidjono), sejarah Indonesia modern - history of modern indonesia, Gadjah mada university press, yogyakarta, cet. 8, 2005, hal 4

²⁰ عادل محيي الدين الألوسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 47

²¹ عادل محيي الدين الألوسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 46



وبالذات في أتشيه قبل مجيء الإسلام حتى أن هذه الدراسات أطلقت عليها "الواجهة العربية في إندونيسيا" وأنه بظهور الإسلام تحول معظم هؤلاء المستوطنين إلى دعاة للدين الجديد. وقد انتشر الإسلام إلى بقية المناطق من أتشيه بالذات²² وبهذا يتضح أن أخلاقهم كانت متأصلة فيهم فجاء الإسلام ليزدادوا به سماحة وكرما.

وجاء الإسلام تيارا متدفقا سلميا وتدرجيا عن طريق التجار، ولكنها فعال في تأثيره وانتشاره لا بد أن يتلاءم ويتوافق مع النموذج الإندونيسي القائم المنطلق من المعتقدات وطقوس الأديان الوثنية التي اعتنقوها مسبقا وظهرت في ممارساتهم اليومية.

الإسلام انتشر بطريقتين: أحدهما الفتح وفرض السلطة بالقوة إن لم تنفع الوسائل الإرضائية. وثانيها: دخول بعض سكان البلاد في دين الدولة التي راعت مصالحهم وكفلت حقوقهم²³، مثل سلطنة أتشيه ودليل ذلك أن مالكة كان مسلما وأوجب الإسلام على رعيته.

فبعد المسافة البحرية لا تسمح للعرب بالدعوة بالسلاح وبطبيعة الحال أن طرق التجارة والحالة الاقتصادية هي سبيل وحيد لنشر الإسلام، وهذا تطلب انفتاحا على الناس وتقربا إليهم بالصدقة، والمعاملة الحسنة في المجادلة والموعظة، والإقناع بالمنطق مستندين في ذلك إلى قوله تعالى: "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن..."²⁴

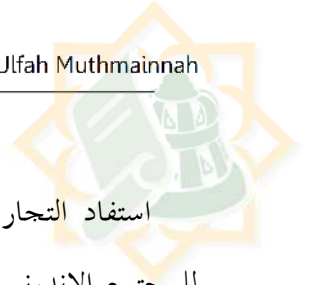
والدعاة الهنود سبقوا الإسلام في أرخبيل الملايو منذ بداية القرن الأول الميلادي وتعرف عندئذ بالحضارة الهندو - وتعتبر اللغة السنسكريتية التي حملها الهنود أسهمت في تكوين اللغة الإندونيسية ويتأثر في دلائل اجتماعية منتشرة في جزيرة سومطرة تعود أصولها إلى العادات والتقاليد الهندية كالرقص والموسيقى والنحت والأدب والهندسة المعمارية ونظام الطبقة الدينية المتميزة (أي نظام القسس) الذي مازال موجودا إلى الآن في جزيرة بالي.²⁵

²² عادل محيي الدين الألوسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 48

²³ عادل محيي الدين الألوسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 51

²⁴ عادل محيي الدين الألوسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 52

²⁵ عادل محيي الدين الألوسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 53



استفاد التجار العرب من الخبرة التي كونوها عن المجتمع الهندي الذي وطئته أقدامهم أول مرة في التكيف للمجتمع الإندونيسي الذي يشبه إلى حد ما المجتمع الهندي مما أسهم في ارتفاع معنوياتهم وتحسن أوضاعهم النفسية فضلا عن أن بعض التجار كانوا هنودا مسلمين ولا يستبعد أن يكونوا إندونيسيين اعتنقوا الإسلام وأخذوا يدعون له. أو يمكن القول: إن التجار الإندونيسيين أسهموا بدور ثانوي، ولكنه مهم في دخول أبناء جلدتهم في الإسلام، ومهما كان التجار بمختلف أجناسهم قد احتكوا بالأهالي من التجار أول الأمر وهؤلاء بدورهم لقنوه أفراد عوائلهم ومنهم إلى أصدقائهم وعملائهم وهلم جرى...²⁶

فتمتع التجار العرب المسلمون بعلاقات مودة مع السكان المحليين بحكم طبيعة التجارة آنذاك والتي يغلب عليها طابع المقايضة وخلوها من التنافس الرأسمالي، هذا النمط الاجتماعي والاقتصادي الذي أحس بها المغترب الحضرمي وفكرة التأقلم بيئة جديدة والاستيطان وهو ما حدث مع بعض التجار للعرب المسلمين كما حدث لسابقتهم أو معاصريهم من الصينيين والهنود والإيرانيين مع فارق عنصر المؤاخاة والسواسية التي يؤمن بها الإسلام²⁷

الطريق السلمية بشكلها التجاري البحت التي وصل بها الإسلام إلى إندونيسيا لم تثر حفيظة السكان المحليين الذين جوزهم إسلامهم الاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم وخصوصياتهم الوطنية الأخرى، وكأما لا انقطاع بين حاضرهم وماضيهم،²⁸ إذ هناك جوامع إسلامية مبنية على غرار المعابد الجاوية الهندوكية، وهناك مقابر إسلامية تحمل رموزا هندوسية، وهناك صراع بين أنصار عادات الملايو القديمة وجماعة الحجاج الذين أجهدوا أنفسهم في المحافظة على الشريعة الإسلامية. وأن دخول الإسلام بقلبه الصوفي إلى إندونيسيا توافقت مع رغبات الإندونيسيين ذلك أن الأفكار

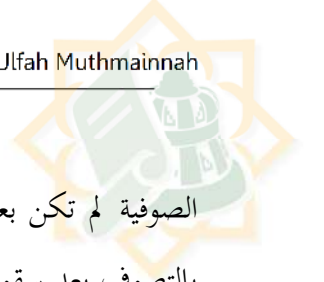
²⁶ عادل محيي الدين الألوسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 54-55، انظر أيضا:

M. C. Ricklefs (Perj: Dharmono Hardjowidjono), sejarah Indonesia modern – history of modern indonesia, Gadjah mada university press, yogyakarta, cet. 8, 2005, hal 11

²⁷ عادل محيي الدين الألوسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 56-57، انظر أيضا:

Samodra wibawa, negara-negara di nusantara, Gadjah mada university press, Yogyakarta, 2001, cet. 1,, hal 18

²⁸ M. C. Ricklefs (Perj: Dharmono Hardjowidjono), sejarah Indonesia modern – history of modern indonesia, Gadjah mada university press, yogyakarta, cet. 8, 2005, hal 10



الصوفية لم تكن بعيدة عن معتقدات دياناتهم القديمة. وعندئذ تميز الإسلام في جزيرة العرب وانتشر في أنحاء العالم بالتصوف بعد سقوط بغداد في أيدي المغول سنة 1258 م²⁹

الانتصارات المتلاحقة التي حققتها الدولة العربية الإسلامية في المجال السياسي والتحول الإيجابي الذي صارت إليه التجارة في ظل الرعاية العباسية وسوء أوضاع سكان الأرخبيل تحت الهندوك. وسهل من مهمة الدعاة المسلمين على المستوى الشعبي والرسمي، فالسكان المحليون وجدوا في الإسلام رضى يوافق ميولهم وعدلا طالما حرموا منه، والزعماء المحليون وجدوا فيه ما يطمئن مصالحهم ويخدم نضالهم التحرري ضد سلطة المركزية الهندوكية³⁰ لذلك كله كان الإسلام بسماحته وسمو أخلاق منتسبيه هو الحل.

المملكة الإسلامية ودورها

دخول الإسلام في إندونيسيا لا ينفصل عن دور الزعماء المحليون بحسب ابن خلدون "العامه على دين الملك..."، ووتزايد انتشار الإسلام حتى ظهرت الكالك الإسلامية، وتعد مملكة بيرلاك Perlak التي قامت في العام (226 هـ / 840 م)، أول سلطنة في إندونيسيا بل في جنوب شرقي آسيا بزعامه سيد مولانا عبد العزيز شاه الذي حكم قرابة ربع قرن من (226 - 250 هـ / 840 - 864 م).³¹

وهناك ممالك إسلامية قامت في آتشيه كمملكة سامودرا باساي الإسلامية (434 هـ / 1042 م)، ومملكة آتشيه الإسلامية (602 هـ - 1205 م). و قيام مملكة بيرلاك المبكر والممالك الإسلامية الأخرى تدل على أن الإسلام قد وافق عقول الإندونيسيين، ولقي منهم قبولا متواصلا بحيث أصبحوا معه قوة وكيانا سياسيا مستقلا.³²

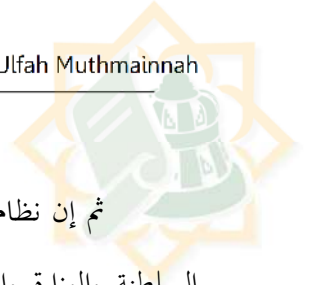
²⁹ M. C. Ricklefs (Perj: Dharmono Hardjowidjono), sejarah Indonesia modern - history of modern indonesia, Gadjah mada university press, yogyakarta, cet. 8, 2005, hal 6 - 18.

³⁰ عادل محيي الدين الألوسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 58، أنظر أيضا:

Samodra wibawa, negara-negara di nusantara, Gadjah mada university press, Yogyakarta, 2001, cet. 1., hal 16

³¹ Samodra wibawa, negara-negara di nusantara, Gadjah mada university press, Yogyakarta, 2001, cet. 1., hal 17

³² Sejarah nasional Indonesia III, Departemen Pendidikan dan Kebudayaan, tanpa penerbit, 1982, hal 3



ثم إن نظام الحكم الذي اتبعته هذه الممالك سار على نسق الحكم في الدولة العباسية، فهناك من المؤسسات السلطنة والوزارة والحجابه والإمارة والدواوين والبريد وبيت المال والقضاء. ولما اعتنق الإسلام، فسرعان ما تتميز المملكة بالعلم والمعرفة وذلك ببعث وفودهم من الطلاب يتعلمون لدى العرب العلوم الدينية والعلمية مثل؛ السياسة الحربية، الرياضية، الفلك، الجغرافية والطبية؛ لأن أمة الإسلام تعتبر من الأمم المتحضرة في تلك الفترة³³

من سبل الدعاة في إندونيسيا أن يسكنوا المدن الكبرى ويتزوجوا من الفتيات الوطنيات لاعتبارين: أحدهما زوجة المسلم يتحتم عليها أن تعتنق الإسلام، ثانيها أنهم تقربوا إلى أصحاب الجاه والنفوذ ورؤساء القبائل بالطرق الشريفة، الغرض منها نشر الدعوة، ومثل هذه الخطط قد طبقت في سومطرة وثبت نجاحها. ومن ذلك زواج الملك الصالح من ابنة مالك بيرلاك.³⁴

وبهذا انتشر الإسلام عن طرق السياسة في مجتمع إندونيسيا. ولا يقتصر على جانب السياسي والاجتماعي بل تجاوز إلى جانب التعليمي مثل ما حصل في جزيرة جاوة. وانتشار الإسلام في جاوة وحولها اعتمد على الأسلوب السلمي التعليمي، فإلى جانب المساجد التي اتخذت مراكز لنشر الدعوة والعبادة كمسجد ديماك في جاوة الوسطى الذي أسسه الأولياء التسعة³⁵ أنشأ الدعاة الأوائل مدارس لتعليم العربية تسمى معاهد "بيسانترين" إلى جانب المساجد ليقوم فيها الطلبة مدة تعليمهم، وتسمى هذه المدارس في سومطرة "سُوْرَاو"³⁶

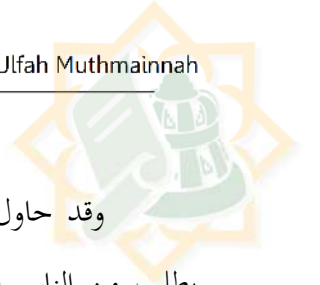
وهذا الأسلوب التعليمي الإقناعي الذي يرمي إلى تفقه الناس بأمر الدين هو الذي يفسر لنا أن دخول الإسلام مع تأخره في جاوة قد أدى إلى انتصار الإسلام على وجه أتم وأرسخ بسبب حرص مسلمي جاوة.

³³ Samodra wibawa, negara-negara di nusantara, Gadjah mada university press, Yogyakarta, 2001, cet. 1,, hal 18

³⁴ أثر الإسلام على النهضة الفكرية في جنوب شرق آسيا في العصور الإسلامية المتأخرة، غنية ياسر كباشي عبد القيسي، رسالة ماجستير في جامعة بغداد، 2003، ص. 48 (القيسي، 2003)

³⁵ M. C. Ricklefs (Perj: Dharmono Hardjowidjono), sejarah Indonesia modern – history of modern indonesia, Gadjah mada university press, yogyakarta, cet. 8, 2005, hal 10

³⁶ عادل محيي الدين الألوسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 63



وقد حاول دعاة الإسلام أن يتجنبوا استفزاز مشاعر السكان المحليين حتى أنه في بعض الأحيان كان لا يطلب من الناس إلا نطق الشهادة بشكل يتوافق مع خصوصيات المجتمع الإندونيسي³⁷. وهذا المرونة الخفيفة لشعب إندونيسي دفعت بالبعض إلى أن يسميه بالإسلام الإندونيسي Islam Nusantara.

وسرعان ينتشر الإسلام في عهد الهندوكي عندئذ، إذ جاء الإسلام على خلاف الهندود الذي يقيم نظام طبقي تدريجي caste system، ولا يؤمن بإله واحد ويفرق بين الأغنياء والفقراء. فعقيدة الإسلام دعت إلى رفع شأن الفرد وتحقيق ذاته والقضاء على سلطة الكهنة البراهميين والنظام الطبقي الهندوكي. وفي حين أن الإسلام يمنحهم العدل والمساواة يخلصهم من سيطرة الطبقات الكادحة التي قاست كثيرا من الظلم والتمييز الطبقي؛ إذ ذلك دفعت إلى روح الإسلامية التي غذت العملية الثورية في إندونيسيا ضد ممالك الهندوية³⁸.

الإسلام أشبع ميول السكان المحليين الروحية؛ فقد كان ممثلا للسلطة في أشخاص الحكام المسلمين، وممثلا للحضارة في أشخاص التجار الوافدين. كما أن معتقدات المسلمين الصوفية وجدت توافقا إلى حد ما مع المعتقدات الإندونيسية القديمة التي تميل إلى الفلسفة الغيبية وهي على الأكثر تركة هندوسية. وأن الأساس الذي قامت عليه هذه المعتقدات يعرف بالحيوية animism³⁹.

وقد شكل الإسلام عنصرا من عناصر انبثاق الوعي بالذات والخصوصية الوطنية الإندونيسية المعادية للنفوذ الأجنبي سواء كان هذا النفوذ هنديا أو هولندية أو تركة من معتقدات القديمة؛ الهندوكية والبوذية والمسيحية، وهو يكون عاملا مهما من عوامل توحيد للأمة والدولة الإندونيسية.⁴⁰ وتلك الفلسفة الوطنية برزت في نظام الحكم والدولة التي تسمى مبادئ «پانچاسيلا» pancasila.

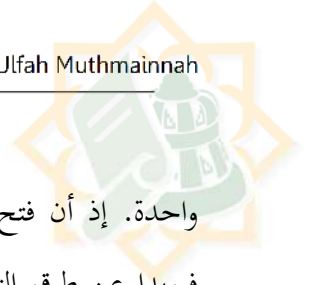
وخلاصة القول من هذا البحث، أن دعوة التجار يمثل في خلق التسامح، والتسامح خلق عظيم الذي تميز بها أمة نبي محمد، حيث ورد في سورة البقرة - 256 قول تعالى: " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ " لأن لو شاء الله لجعلنا أمة

³⁷ M. C. Ricklefs (Perj: Dharmono Hardjowidjono), sejarah Indonesia modern - history of modern indonesia, Gadjah mada university press, yogyakarta, cet. 8, 2005, hal. 14

³⁸ عادل محيي الدين الألويسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 72

³⁹ Samodra wibawa, Negara-negara di Nusantara, Gadjah mada university press, Yogyakarta, 2001, cet. 1, Hal. 8

⁴⁰ عادل محيي الدين الألويسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 4075



واحدة. إذ أن فتح الإسلام في جزيرة العرب مع سائر الفتوحات، فإن دعوة الإسلام في إندونيسيا يستمر رويدا فرويدا عن طرق التجار وجهد الجماعي من كافة؛ التجار والدعاة وملوك وزعماء وطلاب العلم وعلماء إندونيسي (أولياء التسعة) إلى أن يكثر عدد المسلمين فيه.⁴¹

ويقول جيروم زجان تاروا: "إن فضيلة التسامح كانت أزهى السمات الخلقية في العرب، والتي ندر أن تتوافر لغيرهم في جميع الأزمان، هذه السجية الكريمة قد أفادت العرب كثيرا، ولم يكن ليفيدهم ذكاؤهم الفطري، وذوقهم الفني ونزعاتهم لو لم يتميزوا بفضيلة التسامح."⁴²

فالتسامح لم يكن مهمة العرب وحده بل مهمة كل دولة وشعب التي تتميز بمختلف مشربهم. ويقول ابن خلدون "العامه على دين الملك..."⁴³، صحيح أن العرب هو من جاء به هذا الخلق، فيجب عليهم تكريس التسامح حتى يعتنق سكان الإندونيسيين بالإسلام وإن كانوا سابقا معتقدين بالأديان الوثنية في ذلك العصر وذلك فرضية المعلم على رعيته حسب أسلوب ابن خلدون.

فالتعليم الديني بأسلوب الاقتناع والموعظة الحسنة التي اتبعتها الدعاة المسلمون؛ والدوافع الاقتصادية ممثله بمصالح الأمراء والحكام التجارية سيطر على زمامها العرب المسلمون، والدوافع السياسية في التخلص من سيطرة مملكة المجافاهيت المركزية - تحت سلطنة الهندوك - وأخيرا الدافع الذاتي ممثلا في انسانية الإسلام الداعية إلى المساواة والتي بهرت العديد من الإندونيسيين وبخاصة الجماهير الواسعة من الكادحين وعمامة الشعب، هذه العوامل مجتمعة اسهمت وانعكست من معنى التسامح في عملية نشر الإسلام في إندونيسيا.⁴⁴

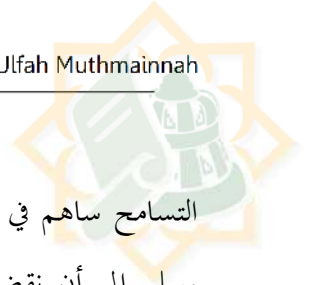
ثمار التسامح

⁴¹ M. C. Ricklefs (Perj: Dharmono Hardjowidjono), Sejarah Indonesia Modern - history of modern indonesia, Gadjah mada university press, yogyakarta, cet. 8, 2005, hal 17

⁴² محمد هادي مصلين و رضي أويس؛ التسامح الإسلامي في الفتوحات الإسلامية؛ فتح مصر نموذجا، مقالة العلمية "Islam Futura"، عدد 20، رقم 2، أغسطس، 2020، ص. 138 (أويس، 2020)

⁴³ صالح الحاجي بن علي، في مقالته المعنون "السياسة والتربية في فكر ابن خلدون"؛ سلسلة ابن خلدون ومنابع الحداثة، بيت الحكمة، تونس، ج. 1، 2006، ص. 301 (علي، 2006)

⁴⁴ عادل محيي الدين الألويسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 1، ص. 65

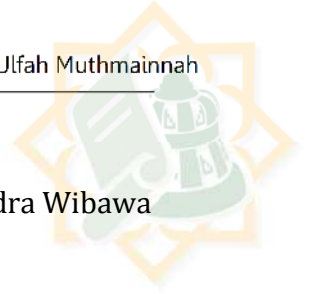


التسامح ساهم في تأسيس أول دولة إسلامية مثلت الأتمودج الأمثل للتسامح الديني في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن نقض اليهود بنود الاتفاق فتم اجلاؤهم، التسامح يطفى الفتن الدينية، يحقن دم الإنسان، ويحفظ حقوقه، ويمنع الاعتداء عليه، وفي قصة اليهودي والمسلم الذين احتكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم خير دليل⁴⁵

قائمة المراجع

- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (1955). صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الأجزاء: 5. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. (1993). صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، الطبعة: الخامسة. دمشق: دار ابن كثير، دار الإمامة.
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. (١٩٩٣ م). صحيح البخاري، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، الأجزاء: 7. دمشق: دار ابن كثير، دار الإمامة.
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. (393هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، الأجزاء: 6، الطبعة: الرابعة 1407هـ_1987م. بيروت: دار العلم للملايين .
- برهان زريق. (2015). الصحيفة ميثاق الرسول، الطبعة: الثالثة.
- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني. (1429). سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا... وسيرة، الطبعة: 1993. مكتبة وهبة.
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي ابن عاشور. (1393). التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" الأجزاء:، سنة النشر: 1984م. تونس: الدار التونسية للنشر.

⁴⁵ قصة اليهودي زيد بن السمين مع المسلم طعمة بن أبيرق من بني ظفر حين هم النبي بقطع يد اليهودي نصره للمسلم فأنزل الله: "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) الى الآية 112 من سورة النساء.



Gadjah Mada ،Yogyakarta ،2001 ، ط 1 ، Negara-Negara Di Nusantara ،Samodra Wibawa

University Press

Sejarah Indonesia Modern – History Of .Dharmono Hardjowidjono ،M. C. Ricklefs

Gadjah Mada University Press ،Yogyakarta ،2005 ، ط: 8، **Modern Indonesia**

عادل محيي الدين الألويسي، العروبة والإسلام في جنوب الشرقي آسيا؛ الهند وإندونيسيا، ط 1 ، 1988،
بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.

صالح الحاجي بن علي، السياسة والتربية في فكر ابن خلدون؛ سلسلة ابن خلدون ومنابع الحداثة، ط 1
، 2006، تونس، بيت الحكمة

محمد هادي و رضي أويس مصلين، التسامح الإسلامي في الفتوحات الإسلامية؛ فتح مصر نموذجا، عدد 20،
رقم 2، : أغسطس، 2020، مقالة العلمية "Islam Futura"